بدوره سينقل المجتمع البشري، إلى مرحلة حضارية قادمة، تتضاءل أمامها كل المراحل الحضارية السابقة. إن هذه الاعتبارات، توضح بما لا يدع مجالاً للشك، مدى الترابط الوثيق بين اكتساب المعرفة وتقدم التنمية، ولذلك لا يجوز، في عصرنا هذا، أن نترك مسألة اكتساب المعرفة، أي التربية، للتحصيل الفردي، أو العشوائي غير المدروس، وغير المنظم: لأن مثل ذلك الوضع لم يعد صالحاً لتحقيق النماء والتقدّم المطلوبين، وبالسرعة المرجوة.

من أجل هذا، وتحت ضغط الحاجة الملحّة، والحاجة، كما يقولون، أم الاختراع، اتجه إنسان القرن العشرين، إلى التخطيط العلمي لمستقبله، ومستقبل مجتمعه. وكان الاتحاد السوفياتي، صاحب قصب السبق في هذا المضمار؛ إذ طلع على العالم، بعد الحرب العالمية الأولى بعقد من الزمان، بأول خطة تنمية خمسية (١٩٢٨ - ١٩٣٢) في تاريخ البشرية[١]. وهكذا ولد التخطيط بمعناه العلمي، في أحضان الثورة الشيوعية الروسية، ولذلك فإن بدايته كانت مذهبية. إلا أنه أخذ بعد الحرب العالمية الثانية، يتخطى حدود الدول، فراحت تنتشر أفكاره وأساليبه بين العديد منها، من أجل إحداث التقدم الاقتصادي والاجتماعي، والثقافي المنشود، حتى أصبح الآن عالمياً. فعلى سبيل المثال، تبنّى الاتحاد السوفياتي أسلوب التخطيط الإلزامي الذي شمل كل القطاعات، بحيث يفرض على كل قطاع الالتزام بما تحدده الخطة من أهداف، وفقاً لمقتضيات فلسفته الاشتراكية، وتمشياً مع سيطرة الدولة على جميع أدوات الإنتاج. أما الولايات المتحدة الأميركية، فقد اكتفت، في هذا المجال، بدراسات تنبؤية في الاقتصاد والتكنولوجيا، وتركت للمؤسسات، ولرجال الأعمال، حرية التصرف، لأنها تدين بمبدأ الاقتصاد الرأسمالي، الذي يقوم على حرية التنافس الفردي[٢].

أما في الوطن العربي، فقد بدأ الاهتمام بالتخطيط العلمي، بفضل منظمة اليونيسكو، التي دعت إلى مؤتمر لهذه الغاية، عقد في بيروت سنة ١٩٦٠، وشارك فيه وزراء التربية في الدول العربية، وجرت فيه دراسة احتياجات التعليم في الدول العربية؛ مما أبرز الحاجة الملحّة لانتهاج طريق التخطيط التربوي في ضوء دراسة تلك الاحتياجات. وعلى أثر ذلك، أنشىء في بيروت، عام ١٩٦١، المركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الوطن العربي على التخطيط التربوي، وظل يعمل حتى عام ١٩٧٢[٣]. وقد كان لهذا المركز فضل كبير فيما يختص بنشر الوعي التخطيطي في مختلف أقطار الوطن العربي، ولست أجافي الحقيقة إذا قلت إن طلائع من دُرِّبوا على التخطيط التربوي في الوطن العربي، وأنا واحد منهم[*]. تلقوا تدريبهم في هذا المركز على أيدي نخبة من الخبراء العرب والأجانب.

وفي ختام هذه الكلمة التمهيدية، ينبغي القول انني سأحاول إلقاء نظرة على دور التربية في دفع عجلة التنمية من خلال المنطلقات الاربعة التالية:

---

* تلقيت دورة مكثفة قصيرة في التخطيط التربوي في المركز المذكور سنة ١٩٦٥، عندما كان الدكتور عبد العزيز القوصي رئيساً له.